الإمام والخطاب المسجدي بين الممارسة الوظيفية المادية والأداء الروحي المقدس

The Imam and Mosque discourse between material functional practice and sacred spiritual performance

L'imam et le discours de la mosquée entre la pratique professionnelle et la performance spirituelle sacrée

ط. د. عماد نبق

جامعة الجزائر 2 أبوالقاسم سعد الله

أ.د. رشيد بوسعادة

جامعة الجزائر 2 أبوالقاسم سعد الله

تاريخ الإرسال: 25-04-2020 - تاريخ القبول: 28-10-2020 - تاريخ النشر: 06-11-2022

ملخص

يعتبر الخطاب المسجدي من أهم وسائل الضبط الاجتماعي فهو فعل مقدس ذو أبعاد دينية روحية تربوية، يخاطب الروح قبل العقل ويعالج الواقع بعيدا عن العاطفة، كما أنه يخضع لتوجيه القائم به والمتمثل في الإمام، من خلال تناوله كرسالة مقدسة لخدمة المجتمع أو وسيلة لأداء وظيفي مادي، ومن هنا تتجلى أهمية دراستا لهذا الموضوع بهدف تحديد مكانة وقيمة الخطاب المسجدي لدى الإمام، ومحاولة إعطاء بعد جديد نسبياً في دراسة الخطاب الديني، من خلال التركيز على الصفات العلمية والتكوينية والإدراكية للفاعلين في الحقل الديني، والاعتماد عليها لمعرفة مدى توجهات الأئمة في ممارساتهم الوظيفية. من خلال استعمالنا المنهج الوصفي التحليلي وباعتماد استمارة الاستبيان والتي وزعناها على الأئمة، ثم قمنا بتحليل نتائجها وفق معطيات كمية إحصائية وتوصلنا لنتائج أهمها: أنّ معظم الأئمة يفضّلون التمسك بوظائفهم رغم وضعهم المادي المتدني، كما أنّ النمط التكويني ونوع التنشئة لدى الإمام له تأثير على مدى اهتمامه بوظيفته وبالتالي الارتقاء بخطابه.

الكلمات الدالة: الخطاب المسجدي؛ الأداء؛ الممارسة؛ المسجد.

Abstract

The mosque discourse is considered one of the most important means of social control as it is a sacred act of religious, spiritual, and educational dimensions. It addresses the soul before the mind and treats reality beyond emotions. It is also subject to the guidance of the person in charge: The Imam who addresses it as a sacred message to serve the community or as a means to perform a material job. Hence, our study is important because it aims to

determine the status and value of the mosque discourse of the Imam, and to try and give a relative new dimension to the study of religious discourse by focusing on the scientific, formative, and cognitive qualities of actors in the religious field, and relying on them to know the extent of Imams' orientations in their job practices. To this end, we used a descriptive and analytical approach, and we adopted a questionnaire which has been distributed to the Imams. Then, we have analyzed its results according to statistical quantitative data, and we reached the most important results:

-Most Imams prefer to stick to their jobs despite their low financial situation.

-The formative style and type of social upbringing of the Imam have an impact on the extent of his interest in his job, leading him to advance the level of his speech.

Keywords: Mosque speech/discourse; performance; practice; mosque.

Résumé

Le discours de la mosquée est considéré comme l'un des moyens les plus importants de contrôle social. C'est un acte sacré avec des dimensions religieuses, spirituelles et éducatives. Il s'adresse à l'âme avant l'esprit et traite la réalité loin de l'émotion. Il est également soumis à l'orientation de l'imam, pour qui le discours est à la fois un message sacré au service de la communauté et un moyen d'accomplir une fonction, d'où l'importance de l'étude de ces deux dimensions dans le but de déterminer le statut et la valeur du discours de mosquée de l'imam, et de donner ainsi une nouvelle orientation à l'étude du discours religieux, en s'intéressant aux qualités scientifiques, formatives et cognitives des acteurs du champ religieux en vue de saisir l'étendue des orientations des imams dans leur fonction. Pour réaliser de tels objectifs nous avons utilisé la méthode d'analyse descriptive et appliqué le questionnaire pour collecter des données auprès des imams. Les résultats obtenus montrent que la plupart des imams valorise à leur fonction indépendamment du modeste salaire qu'ils reçoivent ce qui s'explique l'intérêt qu'ils accordent à la dimension informative et éducative des fidèles et aussi par l'éducation qu'ils ont reçue.

Mots-clés: discours de la mosquée; performance; pratique; mosquée; éducation.

مقدمة

تعتبر مؤسسة المسجد نسق ديني اجتماعي تنظيمي، وهو واحد من أهم المعالم المقدسة في المجتمع الإسلامي بما يحمله من بعد ديني، حضاري، روحي واجتماعي...، إن جملة الأدوار والوظائف التي يقدمها المسجد متنوعة وكثيرة في المجتمع كالدور الاجتماعي والذي

سار جنباً إلى جنب مع جملة من الأدوار الأخرى التربوية والثقافية وغيرها والتي كان يقوم بها على مر العصور.

كما كان للإمام الدور الأساسي والفعال في هذه المؤسسة مع تعدد وظائفه ومجالات عمله وأهدافه في المساهمة في عملية التغيير الاجتماعي باعتباره من أهم الفاعلين فيها من خلال خطابه الديني الذي يعتبر من أهم أدوات الضبط الاجتماعي، هذا الخطاب الذي يمثل أهم منتج مسجدي بما يحمله من أبعاد روحية ومضامين مقدسة ودلالات متنوعة، حيث تتوقف فاعليته حسب درجة اهتمام الإمام به والتي تتجلى من خلال ممارساته وأدائه في المجتمع، ومن هذا المنطلق كان موضوع دراستنا كالتالي : الإمام والخطاب المسجدي بين الممارسة الوظيفية المادية والأداء الروحي المقدس، وذلك قصد – الكشف عن دور الوضعية الاجتماعية للإمام في اهتمامه بالجانب المادي على حساب قدسية الخطاب – التعرف على تأثير المسار التكويني للإمام على الخطاب المسجدي كرسالة روحية مقدسة – التعرف على محتوى الخطاب المسجدي في الجزائر بصفة عامة.

حيث قمنا بإجراء دراسة ميدانية لمجموعة من المساجد للتعرف على النمط الأدائي للأئمة من خلال إبراز أهم العوامل المؤثرة في ممارساتهم والتي تنعكس على قيمة خطبهم بالنسبة لهم.

1. عرض أدبيات الدراسة

1.1. الدراسات السابقة

إن الشكل الديني المقدس للخطاب المسجدي قد يخضع لتأثير جملة العوامل المحيطة به والتي أهمها القائم به والمتمثل في شخص الإمام أو بالمؤسسة الدينية المتمثلة في المسجد ومحيطها الاجتماعي باعتباره أهم مخرجاتها، وهذا ما تناولته بعض الدراسات أهمها دراسة البشير بلحماري خطاب الأئمة وظاهرة الصراع في المساجد 2018، التي هدفت إلى محاولة الكشف عن وعي ورؤية الأئمة للأدوار التي يؤديها الخطاب المسجدي اليوم والأدوار التي يفترض به تأديتها، وكذا إعطاء صورة توضيحية تطورية عن نماذج تكوين الأئمة الموجودة في الجزائر والظروف المحيطة بها، وطريقة تأثرها بالخطاب الديني السائد في المجتمع، وتأثيرها على اتجاهات الأئمة في الخطاب المسجدي، حيث تناولت

الدراسة عينة تتكون من 141 إمام ممثلين لمساجد ولاية الأغواط باستعمال تقنيتي الاستبيان للفرضية الأولى والمقابلة للفرضية الثانية، فتوصلت الدراسة إلى أهم نتائج يمكن الاعتماد عليها وهي: أن الأئمة المتكونين بالطرق التقليدية يرون أن كل موضوعات الخطاب الديني مهمة، وعلى الإمام أن يربط بين العبادات والمعاملات وأن يستجيب ويتكيف مع مشكلات الحياة الاجتماعية وصراعاتها، وكذا تغليب الجانب الرسالي في الإمامة على الجانب الوظيفي، لأن أغلب الأئمة كما أشارت إليه الدراسة إنقادوا تحت ظروف معينة إلى أخلاقية المسؤولية المهنية أكثر من أخلاقية الاعتقاد الراسخ كما يسميها ماكس فيبر (ليكلرك،2008،ص91)، والتوفيق بينهما يتطلب دون شك إعداد الأئمة وتكوينهم في سن مبكرة، ووضع شروط وضوابط علمية موحدة للالتحاق بمعاهد التكوين.

أما الدراسة الثانية فكانت لرشيد بوسعادة بعنوان الإمام والمسجد بين الدين والسياسة 2006، وانطلق الباحث من التساؤلات التالية: - هل الخطاب الديني يعتبر سلطة بديلة أو تحررا من السلطة؟ - هل الخطاب الديني يستمر أزليا أو ينتهي بتحقيق أهدافه؟ -هل يشكل أئمة المساجد نخبة دينية بما تتضمنه من معنى علمي؟، حيث استعمل تقنيات متنوعة كالمقابلة مع أئمة المساجد، والاستمارة مع أساتذة ومسؤولين بقطاع الشؤون الدينية، إضافة إلى تحليل بعض الخطب المسجدية، وتوصل إلى أن: -الرأسمال الديني يوظف لتحقيق مطالب اجتماعية سياسية، اقتصادية بغض النظر عن محتواه الروحي- النسق الديني إذا لم تتحقق له آلياته ووسائله فإن مآله هو أن يصبح أداة هدم وتفجير لبعض أبنية المجتمع. - تدني مكانة الإمامة لكون هذه الأخيرة لم تصبح قائمة على الشروط الصارمة الدينية والاجتماعية التي كانت تقتضيها تعاليم الدين من جهة، ورؤية المجتمع للإمامة من جهة أخرى. -تدهور مستوى الخطبة إلى درجة أنها فقدت نظرتها الشمولية التوجيهية، فصارت بذلك جزئية النظرة والتموقع المحدود مبررة ميول الإمام الشرعية وخصوصيته الثقافية مستغلا في ذلك منافسة الغير له.

تتفق الدراسات السابقة على أن اتجاهات الخطاب المسجدي لدى الإمام هو من يحددها باعتباره يمثل العملية المحورية كأداة ضبط اجتماعي، وأنّ هذه الإتجاهات تخضع لعدة عوامل أهمها اهتمام السلطة بوضع آليات ناجعة تحدد شروط الإلتحاق بمهنة الإمامة ونمط تكويني يتوافق مع النسق الاجتماعي العام بمراعاة الواقع الاجتماعي الراهن،

إضافة إلى الاهتمام بالوضع الاجتماعي للإمام مع وضع أطر قانونية تحدد ممارساته وترقى بأدائه، والذي قد ينعكس إيجابا على مستوى خطابه، إلاّ أنّ هاته الدراسات لم تقدم الأسباب والعوامل المباشرة التي قد تنعكس سلبا على مستوى إهتمام الإمام بخطابه كرسالة مقدسة.

2. الإجراءات المنهجية للدراسة

1.2. اشكالية الدراسة

حاولنا من خلال هذه الدراسة تقديم إضافات فيما يخص البحث عن تلك العوامل المباشرة وأثرها في تحديد اتجاهات الخطاب لدى الأئمة من خلال طرح التساؤلات التالية:

- هل تستغل مواضيع الخطب المسجدية كأداء وظيفي مادي لدى الإمام في ظل الوضعية الاجتماعية التي يعيشها؟

- هل ينعكس المسار التكويني للإمام بالإيجاب على اهتمامه بخطابه المسجدي كرسالة روحانية مقدسة؟

- هل يشكل مضمون الخطاب المسجدي في الجزائر نموذجا للخطاب الديني المقدس في نظر الإمام؟

2.2. فرضيات الدراسة

للإجابة على التساؤلات المطروحة قمنا بصياغة الفرضيات التالية:

- الوضعية الاجتماعية للإمام تدفعه إلى الاهتمام بالجانب المادي على حساب قدسية الخطاب.
- المسار التكويني للإمام يحدد وعيه بأهمية الخطاب المسجدي كرسالة روحية مقدسة.
- يعتبر مضمون الخطاب المسجدي في الجزائر بصفة عامة نموذجا للخطاب الديني المقدس في نظر الإمام.

3.2. مفاهيم الدراسة

- **مفهوم الخطاب المسجدي:** هو أحد نماذج الخطاب الديني بصفة عامة، ويمكن تعريفه على أساس مفهوم الخطاب الإسلامي الذي يشير إلى "العملية الرمزية التي يتم بمقتضاها إنتاج الرسائل المتنوعة بصورة تحقق التفاعل بين مصدر الخطاب والمتلقين بهدف التوصل إلى استجابات تنسجم مع دعائم الفكر الإسلامي،

وتستجيب لقضايا العصر واحتياجات الإنسان" (أبوزيد،2006،ص17)، ويعرف كذلك بأنه "يعبر عن كل ما يقدمه المسجد من أعمال علمية، تتم صياغتها لغويا من خطبة الجمعة إلى درس الجمعة، إلى الدروس المختلفة المتعلقة بالمناسبات وغيرها إلى ما يهدف إلى إحداث نوع من التأثير في رواد المسجد، ويحدث نوعا من التغيير في محيط المسجد، بإعتبار المسجد هو المؤسسة التي تنتج هذا الخطاب" (العمري،2008،ص12) .

-**مفهوم المسجد:** نظريا: أتت كلمة «Mosque» الإنجليزية من الكلمة الفرنسية «Mosquée» التي اشتقت من الكلمة الفرنسية القديمة «Mousquaie» التي نقلت عن العرب وأخذت عن الكلمة العربية « مسجد» التي تكتب بالحروف اللاتينية «Masjid»."فالمسجد لفظة إسلامية لم تكن معروفة قبل ظهور الإسلام، فالاسم والمسمى به قد جاءا مع ظهور الإسلام فالمسجد هو كل مكان يسجد ويتعبد فيه"(غالب،1982، ص381)، قال الزجاج "كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد ألا ترى أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا" ثم قيل : "المسجد الجامع ومسجد الجماعة والمسجد الأعظم" ثم ظهور لفظ الجامع وهو صفة للمسجد وإنما وصف بذلك لأنه علامة الاجتماع (حسن،ص11) وكان بكل مدينة مسجد جامع واحد أي تقام فيه صلاة الجمعة فكان كل جامع مسجدا "ولم يكن كل مسجد جامعا"(عبد العزيز،1974،ص167)، أما إجرائيا: يشير المسجد للمكان الخاص الذي يتعبد فيه ويلتقي فيه الأفراد للقيام بالعبادات، أو المكان الذي يجمع الأفراد لأداء بعض العبادات كالصلاة وغيرها في أوقات زمنية معينة.

- **مفهوم الداء:** يعرف الداء بأنه "الناتج الذي يحققه الموظف عند قيامه بأي عمل من الأعمال"(ناصر،2004، ص53)، ويعرف أيضا بأنه "عبارة عن ناتج جهد معين قام ببذله فرد أو مجموعة لإنجاز عمل معين" (ناصر،2004، ص53)، وفي العموم تشترك أغلب التعريفات لمفهوم الأداء في أنه ما ينتج عند قيام أي فرد أو جماعة بعمل ما منوط بهم.

-**مفهوم الممارسة:** يعرفها موريس كرنفورث بأنها " كل أشكال النشاطات الإنسانية التي يتضمنها مفهوم الممارسة، من نشاط إقتصادي، والممارسات الدينية والسحرية والنشاطات السياسية والعلمية وتلك المتضمنة في مختلف أنواع الفن". (ياروشفسكي،1979، ص22)

4.2. منهج وأدوات الدراسة

-منهج الدراسة: اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي والذي يتمثل في وصف وتحليل أهم العوامل المؤثرة في تحديد اتجاهات الخطاب المسجدي لدى الإمام من خلال تحديد علاقتها بوضعه الاجتماعي ونمط تكوينه.

-أدوات الدراسة: استعملنا تقنية الاستبيان بالنسبة للفرضية الأولى والثانية نظرا لصعوبة إجراء مقابلات مباشرة مع الأئمة حيث قمنا بتوزيع 45 استمارة واستلمنا 39 استمارة، وقمنا بحذف 4 استمارات نظرا لعدم وضوح إجاباتها فتحصلنا في الأخير على 35 استمارة مكتملة، أما في الفرضية الثالثة استعملنا تقنية تحليل المحتوى حيث قمنا بتحليل مضمون خطبة الجمعة لأحد مساجد المنطقة.

-عينة البحث: قمنا بتقنية المسح الشامل نظرا لمحدودية عدد الأئمة بمدينة الأغواط وهو حوالي 45 إماما.

3. عرض وتحليل البيانات

1.3 عرض وتحليل بيانات الفرضية الأولى

تنص الفرضية الأولى على الوضعية الاجتماعية للإمام تدفعه إلى الاهتمام بالجانب المادي على حساب قدسية الخطاب.

الجدول رقم (01): يوضح العلاقة بين إختيار الوظيفة والطموح في وظيفة أخرى.

الطموح	إختيار الوظيفة							
	رغبة شخصية		وسط عائلي		بسبب أصدقاء		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
أطمح	03	11.53	02	33.33	01	33.33	06	17.14
لا أطمح	23	88.46	04	66.66	02	66.66	29	82.85
المجموع	26	100	06	100	03	100	35	100

يوضح الجدول السابق العلاقة بين منطلق اختيار الوظيفة والطموح في وظيفة أخرى أن أغلب الأئمة لا يطمحون في وظائف أخرى بنسبة 82.85%، ودعمت بنسبة 88.46% ممثلة للمبحوثين كان سبب اختيارهم لهذه الوظيفة رغبة شخصية، ثم تليها النسبة

66.66% ممثلة لكل من المبحوثين الذين اختاروا هذه المهنة بتأثير الوسط العائلي والذين اختاروها بسبب أصدقاء كل على حدة، بالمقابل جاءت نسبة المبحوثين الذين يطمحون في وظائف أخرى 17.14%، ودعمت بالنسبة 33.33% ممثلة لكل من المبحوثين الذين اختاروا وظيفة الإمامة بسبب الوسط العائلي والذين اختاروها بسبب أصدقاء كل على حدة، ثم تليها النسبة 11.53% ممثلة للمبحوثين الذين اختاروا هذه الوظيفة بسبب رغبة شخصية.

من بين المهن التي تحظى باهتمام كبير لدى المجتمعات الإسلامية هي مهنة الإمامة من حيث المكانة والتقديس عكسها عكس المهن الأخرى التي غالبا ما ينظر لها بمنظور وظيفي مادي وهو ما جعلها تتبوأ مكانة اجتماعية سامية مثل بعض المهن التي يصبوا أفراد المجتمع لشغلها والوصول إليها بغض النظر عن الأجر المادي المتعلق بها، لأن الإنسان بطبعه يميل ويهتم بكل ما هو مقدس. والواقع الجزائري يترجم ذلك إذ نجد الكثير من الشباب طالبي الشغل خاصة المحافظين منهم والملتزمين والمتمكنين في دينهم والحافظين لكتاب الله يتنافسون على الظفر بهذه الوظيفة السامية رغم أنهم يدركون مسبقا الوضع المادي للإمام وظروف عمله.

وهنا دلالة على تشبع المجتمع الجزائري بالقيم والتنشئة الدينية خاصة سكان المناطق غير الحضرية أين تنتشر دور تحفيظ القرآن وتعليم علوم الدين خاصة على مستوى المساجد المتواجدة هناك، والتي تمنح الفرد تربية وتنشئة دينية بحتة منذ الصغر تجعل تفكيره مقيدا بدرجة كبيرة بممارسة وتبوء وظيفة دينية متمثلة في الإمامة أو تعليم القرآن في الغالب، وذلك وفاء منه والتزاما لهذا التكوين المميز والخاص والمقدس الذي تلقاه حسب نظره.

ولذا فنجد أغلبية الأئمة ونظرا لخصوصية المنطقة قد اختاروا هذه المهنة عن قناعة وهم يدركون مالها من امتيازات مادية محدودة، بل ويفضلونها عن مهن أخرى قد توفر لهم امتيازات أكثر منها ماديا في بعض الحالات، وهذا ما وجدناه لدى غالبية المبحوثين وهنا يظهر أثر التنشئة الدينية عند هذه الفئة في تقويم سلوك الأفراد بل وتفكيرهم في حياة مهنية تتطبع باتجاه ديني يحدد مستقبلهم، وهذا أهم عامل في تكوين قناعات شخصية لاختيار هذه المهنة.

إلاّ أنّ هناك بعض الحالات التي تراودها فكرة تغيير الوظيفة ولها طموح في ذلك وهو ما اقتصر في الغالب على الذين كانت أسباب اختيارهم لوظيفة الإمامة عائلية أو بسبب أصدقاء، إذ لم تكن لهم قناعة شخصية بنفس الدرجة للفئة الأولى في اختيار هذه الوظيفة، وغالبا ما يكون لهذا الصنف مؤهلات تجعله يطمح لوظائف أفضل وتناسبه حسبما يراه.

الجدول رقم (02): يبين العلاقة بين الحالة العائلية للإمام والاقتناع بالأجر

الاقتناع بالأجر	الحالة العائلية							
	متزوج		أعزب		مطلق		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
كافي	05	15.62	01	50	00	00	06	17.14
غير كافي	27	84.37	01	50	01	100	29	82.85
المجموع	32	100	02	100	01	100	35	%100

من خلال هذا الجدول الذي يوضح العلاقة بين الحالة العائلية والاقتناع بالأجر، نجد أن أغلب الأئمة صرحوا بأن أجرهم غير كاف بنسبة 82.85%، ودعمت بـ100% بالنسبة للمطلقين، ثم تليها 84.37% بالنسبة للمتزوجين، ثم تليها 50% بالنسبة للعزاب، بالمقابل نجد أن من صرحوا بأن الأجر كافي نسبتهم 17.14%، ودعمت بـ50% كنسبة للعزاب، ثم تليها 15.62% كنسبة للمتزوجين.

من المعروف أنّ أهم المعوقات التي تعترض الشباب الجزائري اليوم وتدفعهم للعزوف عن الزواج هي ظاهرة البطالة، أو الوضعية المادية المتدنية للكثير من القطاعات الوظيفية والتي أصبحت لا تلب الاحتياجات اليومية للأسر، إلاّ أنّ بعض المهن ذات القيمة الاجتماعية الخاصة ونشير هنا بالذات للوظائف ذات الطابع الديني كمهنة الإمامة تستوجب على شاغلها التحصن بالزواج من باب أنه هو من يدعو أفراد المجتمع إلى التمسك بهذه السنة الدينية الاجتماعية والإقبال عليها.

ولذلك فالأولى منه كنموذج يحتذى به أن يكون محصنا قبل غيره من باب أن الواجب الديني الاجتماعي يفرض عليه ذلك، ولذلك فمنظور أو معيار الزواج عنده قد لا يرتبط غالبا بالوضع المادي الذي يحققه من وظيفته بقدر ما يكون شرط اجتماعي لممارسة هذه

المهنة، ولذا فأغلب الأئمة المبحوثين إن لم نقل كلهم قد حققوا هذا الشرط بعد توظيفهم مباشرة دون مراعاة وضعهم المادي رغم عدم رضى غالبتهم بالأجر المقدم لهم.

2.3. عرض وتحليل نتائج الفرضية الثانية

تنص الفرضية الثانية على: - المسار التكويني للإمام يحدد وعيه بأهمية الخطاب المسجدي كرسالة روحية مقدسة.

الجدول رقم (03): يبين العلاقة بين النمط التكويني للإمام والأسلوب الخطابي الإلقائي المعتمد

الأسلوب الخطابي المعتمد	نمط التكوين											
	زاوية		معهد		جامعة		زاوية ومعهد		جامعة ومعهد		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الترغيب	04	66.66	03	27.27	00	00	04	44.44	01	16.66	12	**34.28**
الترهيب	00	00	01	09.09	01	33.33	01	11.11	02	33.33	05	**14.28**
معا	02	33.33	07	63.63	02	66.33	04	44.44	03	50	18	**51.42**
المجموع	**06**	**100**	**11**	**100**	**03**	**100**	**09**	**100**	**06**	**100**	**35**	**100**

من خلال الجدول السابق والذي يوضح العلاقة بين نمط التكوين و الأسلوب الخطابي المعتمد من طرف المبحوثين، نلاحظ أن أكبر نسبة مسجلة هي51.42% وهي تمثل المبحوثين الذين صرحوا بأنهم يعتمدون أسلوب الترغيب والترهيب معا في خطابهم، ودعمت بالنسبة 66.33% ممثلة للمبحوثين الذين تلقوا تكوينا بالجامعة، وتليها النسبة 63.63% ممثلة للمبحوثين الذين تلقوا تكوينا بالمعاهد الإسلامية، وتليها النسبة 50% ممثلة للمبحوثين الذين تلقوا تكوينا بالجامعة والمعهد، وتليها النسبة 44.44 % ممثلة للمبحوثين الذين تلقوا تكوينا بالزاوية والمعهد، وتليها النسبة 33.33% ممثلة للمبحوثين الذين تلقوا تكوينا بالزاوية.

في المقابل كانت نسبة من صرحوا بأنهم يعتمدون أسلوب الترغيب 34.28%، ودعمت بالنسبة 66.66% ممثلة للمبحوثين الذين تلقوا تكوينا بالزوايا، وتليها النسبة 44.44% ممثلة للمبحوثين الذين تلقوا تكوينا بالزاوية والمعهد، وتليها النسبة 27.27% ممثلة

للمبحوثين الذين تلقوا تكوينا بالمعاهد، وتليها النسبة 16.66% للمبحوثين الذين تلقوا تكوينا بالجامعة والمعهد، ويليها من تلقوا تكوينا بالجامعة بنسبة منعدمة.

في المقابل جاءت نسبة المبحوثين الذين صرحوا بأنهم يعتمدون أسلوب الترهيب في الغالب 14.28%، ودعمت بالنسبة 33.33 % لكل من المبحوثين الذين تلقوا تكوينا بالجامعة والذين تلقوا تكوينا بالجامعة والمعهد كل على حدة، وتليها النسبة 11.11% ممثلة للمبحوثين الذين تلقوا تكوينا بالزاوية والمعهد، وتليها النسبة 09.09% ممثلة للمبحوثين الذين تلقوا تكوينا بالمعهد، ويليها المبحوثين الذين تلقوا تكوينا بالزاوية بنسبة منعدمة.

من أهم عوامل نجاح الخطاب المسجدي هو اختيار الأسلوب المناسب في الإلقاء، فنوع الأسلوب الذي يتبعه الإمام قد ينعكس إيجابا أو سلبا على قوة الخطاب في التأثير وبالتالي على قابلية المتلقي للتأثر، والمواضيع التي يتناولها الإمام في خطابه بقدر ما تتنوع وتعالج قضايا مختلفة دينية أو اجتماعية خاصة فهي تحتاج لنوع محدد من الأسلوب الإلقائي. فمنها ما يستوجب استعمال الأسلوب الذي يميل إلى الترهيب والتخويف ومنها ما يستوجب استعمال أسلوب الترغيب والتشويق ومنها ما يستوجب الجمع بين الأسلوبين.

وقدرة الإمام على التحكم في مواضيع خطبه وتحقيق الهدف المنشود منها المتمثل في إقناع المستمعين وشد انتباههم وإيصال رسالته الخطابية كاملة إلى أذهانهم تعتمد على انتقاء الأسلوب الإلقائي الملائم لموضوعه وهو ما يعكس مدى اهتمامهم بخطبهم.

وبالعودة إلى نتائج الجدول السابق نلاحظ أنّ غالبية المبحوثين يفضلون التنويع في استعمال الأسلوب الخطابي بين الترغيب والترهيب، وهذا ما يفسر مدى إدراكهم بالواقع الفكري والثقافي لجمهور مسجدهم من جهة وبأهمية انتقاء الأسلوب الإلقائي الذي يلائم مواضيعهم المطروحة خاصة وأن لها طابعا دينيا اجتماعيا غالبا من جهة أخرى، ويتجلى ذلك أكثر عند من تلقوا تكوينا متخصصا في المعاهد وبدرجة أقل من درسوا بالجامعات، وهنا يبرز دور وفائدة التكوين المتخصص والتعليم العالي والذي يعتمد على منهجية علمية في مجال التخصص تعتمد أسلوب المحاورة والتدريب على الإلقاء وغيرها من المحاور التي قد تكسب الطلبة فنون التعامل والتواصل مع الغير.

كما أنّ انفتاحهم على شرائح واسعة وعقليات مختلفة في مسارهم التكويني كان له أثر إيجابي في ذلك، عكس الذين تلقوا تكوينا في الزوايا إذ يعتمد أغلبهم على أسلوب الترغيب، ويعود ذلك إلى أنّ الإنسان ابن بيئته، كما أنّ نمط التعليم الذي تلقوه يعتمد على التلقين في الغالب ويهمل فنون الإلقاء والتفاعل مع المواضيع، ضف إلى ذلك فإنّ مجتمع الزوايا يكون أقل إنفتاحا أمام باقي شرائح المجتمع بسبب نمطية التكوين المغلق المعتمد فيها.

إذ يستغرق طلبتها شهورا في التكوين والتعليم بعيدا عن ذويهم وعن التواصل المباشر مع مختلف شرائح المجتمع، وهذا ما أثر سلبا على شكل مواجهة هذه الفئة من الأئمة لجمهور مساجدها في بعض المواضيع الخطابية التي تستوجب من الإمام أن يكون صارما وشجاعا في طرحها. يعكس نمط التكوين لدى الأئمة درجة الأداء والتحكم في الأساليب الخطابية أمام جمهور المسجد، إذ كلما كان نمط التكوين عاليا أو متخصصا كان الإمام أكثر إلماما بانتقاء ما يناسب موضوعه من أسلوب في الطرح، كما أن الممارسة المستمرة والوعي بواقع المجتمع وحال المتلقين والتفاعل مع قضايا الحال، كفيل بأن يجعل من الإمام مهما كان تكوينه متمرسا في خطابه باختيار الأساليب الناجعة التي تناسب مواضيعه وتخدمها وتحقق الهدف منها وتؤثر في المتلقي.

الجدول رقم (04): يبين العلاقة بين المستوى التعليمي وكتب مصدر الخطبة

كتب مصدر الخطبة	المستوى التعليمي									
	إبتدائي		متوسط		ثانوي		جامعي		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
عقيدة	01	50	01	16.66	03	16.66	02	22.22	07	**20**
فقه	01	50	02	33.33	01	05.55	01	11.11	05	**14.28**
سيرة	00	00	02	33.33	04	22.22	01	11.11	07	**20**
كتب متنوعة	00	00	01	16.66	10	55.55	05	55.55	16	**45.71**
المجموع	**02**	**100**	**06**	**100**	**18**	**100**	**09**	**100**	**35**	**100**

من خلال الجدول السابق والذي يبين العلاقة بين المستوى التعليمي والكتب المعتمدة في الخطبة كمصدر، نلاحظ أنّ أكبر نسبة وهي 45.71% ممثلة للمبحوثين الذين يعتمدون على كتب أخرى متنوعة كمصدر لإعداد الخطاب المسجدي ودعمت بنسبة 55.55%

لكل من الذين لهم مستوى جامعي وثانوي كل على حدة، ثم تليها النسبة 16.66% للذين لهم مستوى متوسط. أما الذين لهم مستوى ابتدائي كانت نسبتهم منعدمة، في المقابل كانت نسبة من يعتمدون على كتب العقيدة كمصدر لخطابهم 20%، ودعمت بالنسبة 50% لمن لهم مستوى إ بتدائي، ثم تليها النسبة 22.22% لمن لهم مستوى جامعي، ثم تليها النسبة 16.66 % لكل من الذين لهم مستوى متوسط وثانوي كل على حدة.

في المقابل نجد أنّ نسبة من يعتمدون على كتب السيرة كذلك 20%، ودعمت بالنسبة 33.33% لمن لهم مستوى متوسط، ثم تليها النسبة 22.22 % لمن لهم مستوى ثانوي، ثم تليها النسبة 11.11% لمن لهم مستوى جامعي، ثم تليها نسبة الإبتدائي التي كانت منعدمة، في المقابل كانت نسبة من يعتمدون على كتب الفقه في خطابهم 14.28%، ودعمت بالنسبة 50% لمن لهم مستوى ابتدائي، ثم تليها النسبة 33.33% لمن لهم مستوى متوسط، ثم تليها النسبة 11.11% لكل من لهم مستوى جامعي، ثم تليها النسبة 05.55% لمن لهم مستوى ثانوي.

اهتمام غالبية المبحوثين بكتب ومصادر متنوعة كمراجع لإعداد خطبهم دون التركيز على نوع خاص لمسناه عند من لهم مستوى ثانوي وجامعي، إذ كلما كان للإمام مستوى تعليمي أكبر زاد تمكنه من البحث والاعتماد على مصادر متنوعة أكثر، إثراء لخطبهم بما يجعلها أكثر انفتاحا على مختلف القضايا والمواضيع التي يرون أن المجتمع بحاجة إليها، وهذا مؤشر على انفتاحهم على العديد من التخصصات والمجالات الدينية وغير الدينية، فمواضيع الخطبة لم تعد مقتصرة على جانب خاص مثلما كانت في السابق أين كان الإمام يعتمد الخطاب التقليدي الذي لا تخرج مواضيعه عن إطار الفقه والعبادات، وهذا النوع من المصادر يتطلب جهدا ووقتا كبيرين قد يسخرهما الإمام في البحث والمطالعة وانتقاء ما يخدم نص خطبته ويناسب جمهور المسجد في وقت واحد.

كما يترجم هذا الجهد مدى إدراك الأئمة لقيمة الخطبة واهتمامهم بإعداد موضوعها بمنهجية متكاملة ومادة علمية متنوعة المصادر سواء دينية أو اجتماعية أو ثقافية أو أدبية أو تاريخية وغيرها من المصادر للإحاطة بكل جوانب الموضوع، عكس باقي المبحوثين الذين كانوا بنسب أقل والذين يعتمدون على مصدر واحد أو إثنين ككتب الفقه أو العقيدة أو السيرة.

وتكون مواضيع الخطبة عندهم غالبا مقتصرة على معالجة الموضوع من جانب واحد لا يفي بالغرض منها، أو تتجه في تناول جانب خاص من المواضيع والتي تكون في الغالب ذات الاتجاه الديني الضيق الذي لا يخرج عن إطار الفقه والعبادات، وهذا ما قد يؤدي إلى عدم تحقيق الهدف الديني الاجتماعي الوظيفي المقدس كمعالجة مختلف قضايا الواقع، وعدم اشتمالها على مختلف الأغراض التي تعزز دورها كأداة ضبط كالتوجيه والنصح والإرشاد والتذكير، وبالتالي يفقد الخطاب قيمته وفاعليته ومصداقيته مما ينعكس سلبا على قيمة الإمام الاجتماعية والدينية كعنصر فاعل مؤثر في المجتمع.

3.3. عرض وتحليل نتائج الفرضية الثالثة

تنص الفرضية على: يعتبر مضمون الخطاب المسجدي في الجزائر بصفة عامة نموذجا للخطاب الديني المقدس في نظر الإمام.

الجدول رقم (05): خاص بتحليل خطبة الجمعة

موضوعها: الموت			
الرقم	وحدة التحليل	ت	%
01	الموت	30	42.25
02	العمل الصالح	09	12.67
03	الصدقة	05	07.04
04	الأجر والثواب	03	04.22
05	التقوى	04	05.63
06	المؤمن	03	04.22
07	العلم	06	08.45
08	الروح	05	07.04
09	الحياة الدنيا	06	08.45
المجموع		71	100

من خلال هذا الجدول نلاحظ أنّ أعلى نسبة هي 42.25 % وهي خاصة بوحدة التحليل (الموت)، وتقابلها النسبة 12.67 % خاصة بوحدة التحليل (العمل الصالح)، وتقابلها النسبة 08.45 % خاصة بكل من وحدتي التحليل (العلم) و (الحياة الدنيا) كل على حدة،

وتقابلها النسبة 07.04 % خاصة بكل من وحدتي التحليل (الصدقة) و (الروح)، وتقابلها النسبة 05.63 % خاصة بوحدة التحليل (التقوى)، وتقابلها النسبة 04.22 % خاصة بكل من وحدتي التحليل (الأجر والثواب) و(المؤمن) لكل على حدة.

- **الإطار المرجعي للخطبة:** يرجع تاريخ الخطبة إلى يوم الجمعة الرابع عشر من جوان سنة 2019، حيث تناولت موضوع الموت، وتتكون ككل خطب الجمعة من جزئين، (خطبة أولى وخطبة ثانية).

- **الإطار الشكلي للخطبة:**

الخطبة الأولى: افتتحت بالبسملة والحمدلة، ثم الصلاة على النبي وأهله وأصحابه ومن تبعهم، بنفس سياق الخطب المسجدية المتعارف عليها والمألوفة، لغتها بسيطة في الغالب وألفاظها مفهومة وسهلة التناول، وكان الأسلوب الغالب عليها خبري.

الخطبة الثانية: افتتحت بالحمدلة والإقرار بالشهادة، ثم الصلاة على النبي، كذلك غلب عليها الأسلوب الخبري وكانت لغتها بسيطة وألفاظها سهلة على نفس طريقة الخطبة الأولى، إلا أنّها كانت أقصر من الأولى، واختتمت بالدعاء.

- **تحليل مضمون الخطبتين**

من خلال العنوان يظهر جليا أنّ الخطبتين صيغتا في إطار المواضيع الوعظية، إذ تناولها الإمام بطريقة سردية معتمدا الأسلوب الخبري في طرحه وتقدم الخطبتان موضوع (الموت) من باب التعريف به وبيان قيمته وأهميته كمحطة انتقال للدار الآخرة والعمل لها، حيث تعمد الإمام ذكر لفظ (الموت) حوالي 30 مرة في مواضع مختلفة مستشهدا بالكثير من الأحاديث الشريفة والتي استغل شرحها وتذليل مفاهيمها في بناء خطبته مثل ذكره: قال الرسول ص :(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)، أين ركز كذلك على ذكر (العمل الصالح) في الكثير من المواضع غير أنّه لم يشر ولم يذكر الأعمال الصالحة بالتفصيل واكتفى باللفظ فقط، وجاء ذكره للفظ (الصدقة) عدة مرّات إلاّ أنّه عدد أنواع الصدقات مستشهدا بأمثلة من الواقع، وهنا نلمس الجانب الاجتماعي في خطبته، وكانت باقي المفاهيم الأساسية التي اعتمدها في خطبته وتعمد تكرارها كلها مستقاة من نفس المصدر أي الأحاديث ولم يخرج في تناولها عن السياق الديني مثل (العلم)، حيث بين قيمة العلم

للمؤمن وفائدة التعلم ليستطيع المؤمن التمييز بين الصالح والطالح وبين الحق والباطل، وكذا (الحياة الدنيا) إذ بين ما يجب على المؤمن أن يأخذ منها وكيف يستفيد منها، وكذلك بنفس الأسلوب جاء ذكره للفظ (االروح).

أما الخطبة الثانية فاستهلها بنفس السياق الديني كذلك، حيث افتتحها بحديث شريف حث فيه المتلقين على ضرورة (التقوى) أين كرّر ذكرها في آيات من القرآن الكريم كقوله: (أيّها الناس اتّقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إنّ وعد الله حق ولا تغرنكم الحياة الدنيا.....) ومذكّرا إيّاهم بوجوبها لأنّها هي المنقذ الوحيد بعد الموت، ثم بيّن لهم حقيقة الآخرة بأنها هي دار الحساب والجزاء مكررا لفظ (الأجر والثواب).

- تقييم

رغم أنّ الخطبتين قدمتا في غالبهما في نفس السياق الديني مع إشارات متفرقة للجانب الاجتماعي، إلاّ أنّ تفاعل الإمام لم يكن بمستوى الموضوع ويتجلى ذلك في الطريقة السردية التي اتبعها والتي ميزها الأسلوب الخبري المعتمد في كتابتهما، إذ كان يفترض به استعمال الأسلوب الإنشائي الذي يلائم أغراض التنبيه والتحذير والمواساة والتضرع وغيرها من صيغ تلائم قدسية الموضوع دينيا واجتماعيا ويجعل من الإمام يخاطب مشاعر السامعين ويؤثر فيهم أكثر، وهذا مؤشر على أنّ موضوع الخطبة لم يحظ بالتحضير المناسب وهو ما ينعكس بالسلب على أن يكون نموذجا مؤثرا ومقدسا لدى المتلقين، كما أنّه مؤشر على عدم اهتمام الإمام بقدسية الخطاب لدرجة تناسب مستوى هذا النمط من المواضيع .

4. نتائج الدراسة

- يرجع وعي الإمام بقيمة وظيفته اجتماعيا ودينيا لعامل البيئة المعاشة، إذ أنّ اختيار هذه الوظيفة مبني على قناعة نابعة من تشبعه من الوسط الذي يعيشه سواء عند أولئك الذي تلقوا تنشئة دينية أسرية أو الذين تأثروا بمحيطهم أي طبيعة البيئة الاجتماعية المعاشة أو من خلال الاحتكاك بأصدقاء، وهذا ما كون لهم قناعات بممارسة هذه المهنة والتمسك بها بل وتقديسها.

- اختيار أغلب الأئمة لوظيفة الإمامة رغم عدم قناعتهم بالأجر المقدم له دلالة دينية على تشبعهم بفكرة تفضيل الخدمة الدينية الاجتماعية على حساب الجانب المادي، وهو نابع من قناعة شخصية وليس ضغوطات اجتماعية، وهذا ما توصلت إليه الدراسة السابقة التي ذكرناها حين وجدت أنّ "أغلب الأئمة يتجهون إلى تغليب الجانب الرسالي في الإمامة على الجانب الوظيفي" (بلحماري،2018، ص280)، وهذا ما قد ينعكس إيجابا على ممارساتهم من خلال مدى اهتمامهم بالخطاب المسجدي كرسالة مقدسة.

- بالرغم من الظروف المزرية التي يعيشها أغلب الأئمة بسبب الوضع الاجتماعي المتدني إلاّ أنّ هذا لم يكن سببا في عزز وفهم عن الزواج انطلاقا من قناعتهم أنّ تحصين أنفسهم يعد من الأولويات الدينية، وباعتبار أنّ قدسية وظيفتهم تفرض عليهم أن يكونوا نماذج اجتماعية يحتذى بها وهذا ما يترجم سمو الجانب الروحي على حساب الجانب المادي في وظيفتهم.

- التنويع في استخدام الأسلوب الخطابي بين الترغيب والترهيب لدى غالبية الأئمة رغم تلقي بعض الانتقادات أحيانا يوحي بتفاعل الإمام مع مواضيع خطبه قبل تفاعل المتلقين معها، وهذا ما يعكس صحوة الجانب الروحي الوجداني لديه تجاه عمله المقدس وتغييب الجانب المادي، وهو ما يثمّن ما أشار إليه الباحث في الدراسة السابقة حين توصل إلى أنّ "أغلب الأئمة يرون أنّه على الإمام أن يربط بين العبادات والمعاملات وأن يستجيب ويتكيف مع مشكلات الحياة الاجتماعية وصراعاتها" (بلحماري،2018، ص278) و لا يتحقق ذلك إلاّ من خلال التكيف مع نمط خطاباتهم المقدمة وتناولها بطريقة تخدم الموضوع وتؤثر في المتلقي.

- كلّما كان الإمام على قدر عال من العلم والمعرفة المتنوعة كلّما كان أكثر انفتاحا على مختلف القضايا التي تواجه المجتمع، والعلم الواسع لا يتأتى بالاعتماد على مصادر محددة دوما ولا تخدم الواقع الاجتماعي المعاش ولا تطابق ولا تعالج قضايا العصر بصورة كافية، بل إنّ الانفتاح على مختلف العلوم والاعتماد على تنوع المصادر في ظل تجدد المعلومات وتجديد الاجتهادات وانتشار المصادر المعتمدة وتعددها، وأصبح من الضروري للإمام متابعتها والاستفادة منها والاطلاع عليها والانتقاء منها بما يخدم خطابه.

- يظهر الأسلوب اللغوي المتبع في الخطبة والذي اعتمد في الغالب على الأسلوب الخبري السردي عدم تفاعل الإمام مع موضوعها، خاصة وأن هذا النوع من المواضيع ذو إتجاه تربوي روحي، والتي من الواجب أن يكون تفاعل الإمام فيها بارزا من خلال استعمال أسلوب مناسب و مؤثر كالأسلوب الإنشائي الغني بأغراض تؤثر في المتلقي، كالتحذير والتنبيه ولفت الانتباه وغيرها، وهذا قد يعكس مستوى تكوينه واهتمامه إلى حد كبير، وهو ما يفسره الباحث في نتائج دراسته حين توصل إلى "تدني مكانة الإمامة في بعض الأحيان لكون هذه الأخيرة لم تصبح قائمة على الشروط الصارمة الدينية والاجتماعية التي كانت تقتضيها تعاليم الدين من جهة، و تدهور مستوى الخطبة إلى درجة أنها فقدت نظرتها الشمولية التوجيهية فصارت بذلك جزئية النظرة والتموقع المحدود مبررة بميول الإمام الشرعية وخصوصيته الثقافية" (بوسعادة،2006 ، ص343).

خاتمة

إنّ الفاعلية الاجتماعية للخطاب الديني تتوقف على مدى اهتمام الإمام به كرسالة روحية مقدسة ولذا أصبح من الضرورة إعادة النظر في كيفية توفير الجو المناسب لممارسة وظيفته من خلال العمل على تحسين وضعه الاجتماعي، والارتقاء بنمط تكوينه ليتلاءم مع الواقع الاجتماعي الراهن، ووضع آليات تنظم عمله وممارساته وفق حقوق وواجبات محددة لأنّ النسق الديني إذا لم تتحقق له آلياته ووسائله فإنّ مآله أن يصبح أداة هدم وتفجير لبعض أبنية المجتمع.

المراجع

1. أبوزيد محمد عبد السلام، 2006. التحليل السوسيولوجي للخطاب الديني اليومي عند بعض الشرائح الاجتماعية في الريف والحضر، رسالة دكتوراه، قسم علم الاجتماع، جامعة القاهرة، مصر.
2. العمري مرزوق، 2008. راهن الخطاب المسجدي والمرجعية الدينية الوطنية، رسالة المسجد، عدد1، الجزائر.
3. بلحماري البشير، 2018. خطاب الأئمة وظاهرة الصراع في المساجد، رسالة دكتوراه، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر2 أو القاسم سعد الله، الجزائر.
4. بوسعادة رشيد، 2006. الإمام والمسجد بين الدين والسياسة، رسالة دكتوراه، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر.

5. تادوش ياروشفسكي، 1979. مفهوم الممارسة في فكر كارل ماركس، ترجمة حاتم سليمان، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان.

6. حسن عبد الوهاب، (د.ت). المساجد الأثرية بالقاهرة، ج1، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

7. عبد العزيز محمد مرزوق، 1974. الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر قبل الفاطميين، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.

8. غالب عبد الرحيم، 1982. موسوعة العمارة الإسلامية، جروس بريس، بيروت، لبنان.

9. ليكلرك جيرار، 2008. سوسيولوجيا المثقفين، ترجمه: جورج كتورة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان.

10. ناصر محمد إبراهيم، 2004. المناخ التنظيمي وعلاقته بالأداء الوظيفي، رسالة ماجيستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.